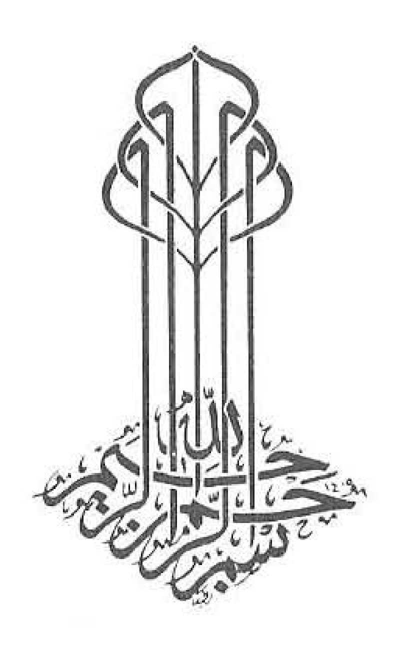
سلسلة رسائل علي القاري -٣-

المقدمة السالمة في خوف الخاتمة

تأليف
العلامة الشيخ علي سلطان محمد القاري
ت ١٠١٤هـ

علق عليها وخرج أحاديثها
مشهور حسن سلمان

المكتب الإسلامي		دار عمار


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة رسائل علي القاري -٣-

المقدمة السالمة في خوف الخاتمة

تأليف

العلامة الشيخ علي سلطان محمد القاري

ت: ١٠١٤هـ

علق عليها وخرج أحاديثها

مشهور حسن سلمان

المكتب الإسلامي

دار عمار

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيا: إسلاميا

دار عمّار
الأردن - عمّان - سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني
ص.ب ٩٢١٦٩١ - هاتف ٦٥٢٤٣٧

مقدمة المحقق

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق وأحبهم للحقّ عزّ وجلّ، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار.

أما بعد:

فهذه الرسالة الثالثة من مؤلفات الشيخ الإمام علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله تعالى في خوف الخاتمة، بيّن فيها «أن من حكم له بالسعادة لا يشقى أبداً، وإن ألح غاويه وكثر معاديه، وأحيط به مِنْ جميع نواحيه، ومن حكم له بالشقاوة لا يسعد أبداً، وإن عمّر ناديه وأخصب واديه، وحسّنت أواخره ومباديه.

واعلم - رحمك الله - أن لسوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - أسباباً، ولها طرق وأبواب، أعظمها الإكباب على الدنيا، والإعراض عن الأخرى والإقدام بالمعصية على الله تعالى.

وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة، ونوع من المعصية وجانب من الإعراض، ونصيب من الافتراء،

فملك قلبه، وسبى عقله، وأطفأ نوره، وأرسل عليه حجبه، فلم تنفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة، فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان بعيد، فلم يتبين المراد، ولا علم ما أراد، وإنْ أعاد عليه و أعاد»[1].

★ النسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمدتُ في تحقيق هذه الرسالة على نسخةٍ مصورة ضمن مجموع موجود في المدرسة الأحمدية، بمدينة حلب رقم (٢٦٦٦٨ عام)، فيت ست وخمسون رسالة للمصنّف، ورسالتنا هذه هي التاسعة من المجموع.

وهي تقع في خمس لوحات.

في كل لوحة صفحتان.

في كل صفحة (١٩) سطراً.

وخطها واضح ومقروء، وكتبت سنة ١١٩٦هـ.

جاء في أولها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. رب زدني علما يا كريم، المقدمة السالمة في خوف الخاتمة، الحمد لله الذي هدانا إلى الصراط المستقيم...»

---

(١) العاقبة في ذكر الموت والاخرة (ص١٧٨).

وفي آخرها:

«رزقنا الله حسن العقيدة والتوبة الصحيحة الوثيقة، والتوفيق [إلى] العلم النافع، والعمل الصالح، المقرونين بالإخلاص الرافع، وحسن الخاتمة في آخر النفس الواقع، بأن قرن العلم اليقين، والعين اليقين، وقرّ عينينا بكشف مقام حقّ النبيين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»

* نسبة الرسالة لمؤلفها

نسب هذه الرسالة للشيخ علي القاري غير واحد منهم: حاجي خليفة في «كشف الظنون»: (١٨٠٢/٢)، واسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين» (٧٥٣/١)، وخليل ابراهيم قوتلاي في كتابه «الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث» (ص١٢٦).

وذكرها مصنفها في كتابه «شم العوارض في ذم الروافض»: (لوحة ٢٤٩/أ).

* عملي في التحقيق

يتلخص عملي في تحقيق هذه الرسالة بما يلي:

١ - قمتُ بنسخ المخطوط، وضبطتُ نصه.

٢ ـ خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، وذكرت مرتبتها معتمداً على قواعد علم المصطلح.

٣ ـ رجعتْ إلى المصادر التي نقل منها المصنف.

٤ ـ علقتُ على ما رأيته ضرورياً.

٥ ـ ألحقت مع الرسالة فهارس تيسر على القارىء الوقوف على مبتغاه منها.

وأخيراً.. الله أسأل، وبأسمائه وصفاته أتوسل، أن يرزقنا حسن الخاتمة، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه سبحانه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه
مشهور حسن سلمان
١٨/ شعبان/ ١٤٠٩هـ

ورفقنا
طيب الله اوقاته وحسن لخلاننا التحصيل العلم النافع والعمل الصالح
المقرونين بالاخلاص وحسن الخاتمة التي هي مطلوبة العوام والخواص
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

المقدمة رسالة بسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علماً يا كريم في حسن الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا الى الصراط المستقيم ، ودلنا الى الطريق القويم ، والسلام
على من خلق بالخلق العظيم ، وجبل بالقلب السليم ، وعلى آله واصحابه واتباعه و
احزابه واصحابه الكريم ، واداب التعظيم اما بعد فيقول الملتجئ الى حرم ربه الباري
علي بن سلطان محمد الهروي ، خادم كتاب الله القديم ، وحديث نبيه النبيه
الصميم ، ان الله سبحانه قال افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي الذين خسروا انفسهم بالكفر ، وترك النظر والتأمل في الامر ، ومكر الله استدراج
استدراج العبد بالآلاء والنعماء ، واخذه من حيث لا يشعر بالبلاء والضراء ،
وهذه من جملتها الكرامات لبعض الاولياء ، وقال عز وجل انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون فالواجب على كل مؤمن ان يكون بين الخوف والرجاء ، والقبول
والرد في الانتهاء ، ولا يغتر بانه بحسب الظاهر في صورة العلماء ، وفي سيرة الصلحاء
وكذا لا يقنط من رحمة تعالى ولو كان في طريق الفسقة او الجهلاء ، فان المدار
على الخاتمة اللاحقة على وفق ما جرى به القلم في الساعة السابقة ، وقد جاء
في السنة حديث صحيح رواه اصحاب الكتب الستة عن ابن مسعود رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين
يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله

صورة اللوحة الأولى من المخطوط

المسألة في رسالة مستقلة . وقد صرح ابن المقري في الارشاد ان من شك
في ان طائفة ابن العربي شر من اليهود والنصارى فقد كفر . ونعتقد
في ذلك لانهم سبب الضلالة . وباعث الجهالة . فيما بين المسلمين . لاسيما
وقد اغتر وا بانهم من المتصوفين . والعامة لم يفرقوا بين توحيد
الشهود وتوحيد الوجود . فعليك بما قاله الجنيد سيد الطائفة وشيخ الطريقة
ان طريقتنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . فمن لم يحفظ القرآن . ولم يكتب
الحديث . ولم يتفقه فلا يقتدى به . وقد ورد عن الامام مالك نظير ذلك
حيث قال من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق . ومن تفقه ولم يتصوف فقد
تفسق . ومن جمع بينهما فقد تحقق . رزقنا الله حسن العقيدة . والتوبة
النصيحة الوثيقة . وتوفيق العلم النافع . والعمل الصالح . المقرونين
بالاخلاص الرافع . وحسن الخاتمة في آخر النفس الواقع . بان قرن العلم
اليقين . والعين اليقين . وقرعينا بكشف مقام حق اليقين . وسلام
على المرسلين والحمد لله
رب العالمين

النصف الاول لبسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علما يا كريم في النصف الآخر

الحمد لله اولا واخرا . وباطنا وظاهرا . والصلاة والسلام على اول الموجودات
وافضل المخلوقات . وعلى آله واصحابه الصافين ببابه . والحافين حول جنابه .
اما بعد . فيقول المفتقر الى بر ربه البارئ علي بن سلطان محمد القاري
قد قال الله تعالى والصافات صفا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية

صورة اللوحة الثانية من المخطوط

الحمد لله الذي هدانا إلى الصّراط المستقيم، ودلّنا إلى الطريق القويم، والسلام على من خُلق بالخلقِ العظيم، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه وأصحابه الكرام وأرباب التعظيم.

أما بعد:

فيقول الملتجىء إلى حرم ربّه الباري: عليٌّ بن سلطان محمد الهرويّ، خادم كتابِ الله القديم، وحديث نبيه النبيه الفخيم:

إنّ الله سبحانه قال:

﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[1].

أي الذين خسروا أنفسهم بالكفر، وترك النّظر والتأمل في الأمر.

ومكر الله: استعارة[2] لاستدراج العبد بالآلاء

---

(١) سورة الاعراف: آية رقم ٩٩.

(٢) مذهب السلف في هذه الصفة ونحوها: أنهم يقولون: صفات الله تعالى لا يُطلع لها على ما هيةٍ، وإنما تُمرّ كما جاءتْ، وانظر: أقاويل الثقات: (ص٧٠، ٧١) للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي.

والنّعماء، وأخذه من حيث لا يشعر بالبلاء والضرّاء، وعدّ من جملتها الكرامات لبعض الأولياء.

وقال عز وجل:

﴿إنّه لا ييأسّ من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[٣].

فالواجب على كل مؤمن أن يكون بين الخوف والرّجاء، والقبول والردّ في الإنتهاء، ولا يغتر بأنه بحسب الظاهر في صورة العلماء، وفي سيرة الصلحاء، وكذا لا يقنط منْ رحمته تعالى، ولو كان في طريق الفسقة أو الجهلاء، فإنّ المدار على الخاتمة اللاحقة، على وفق ما جرى القلمُ في السّاعة السّابقة.

وقد ورد في السنّة حديث صحيح، رواه أصحاب الكتب الستة عن ابن مسعود رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ:

«إن أحدكم يُجْمَعُ خَلْقُه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً، ويؤمر بأربع كلمات، ويقالُ له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرّجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى

(٣) سورة يوسف: آية رقم (٨٧).

ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخل الجنة»[1].

والآيات في هذا المعنى كثيرة والأحاديث في هذا المبنى شهيرة.

وفي متن العقائد، الموافق للمواقف والمقاصد: أن اليأس من الله كفر، والأمن من الله كفر[2].

إذا عرفت ذلك، وحقيقة ما هنالك:

فاعلم أنّ ما نقل عن بعض المشهورين بالمشيخة في زماننا أنه كان يتفوه بنحو قوله:

«من رآني دخل الجنة، أو لم يدخل النار» باطلٌ

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٠٢/٦، ٣٦٣)، (٤٧٧/١١)، و(٤٤٠/١٣) ومسلم في «الصحيح»: (٢٠٣٦/٤، ٢٠٣٧) والترمذي في «الجامع» (١٩٧/٣ - تحفة الاحوذي)، وأبو داود في «السنن» (٣٦٤/٤ - عون المعبود)، والنسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الاشراف» (٢٩٧/٧) وابن ماجه في «السنن» (٢٩/١) وغيرهم كثير.

(٢) وانظر «شرح الفقه الأكبر» (ص١٢٣) للمصنف، و«شرح العقيدة الطحاوية»: (ص٣٧١).

وساقط عن درجة الإعتبار، وإنْ كان يتعلق به بعضُ الفجار، واجتراء بالمعاصي الكبار، اعتماداً على أنه قد رآه في بعض الدّيار، وذلك بأن هذا القائل، حيث لا يقدر على أنه يجزم بموت نفسه على الإيمان فكيف يتصور له أن يكون لغيره سبب الأمن والأمان؟!

فهذا الكلام من الشطحيّات التي[هي][1] خارجة عن سبيل الشريعة، ومنهاج الطريقة والحقيقة. على أن إطلاق (منْ رآني) شامل للكفّار والفجار، ولو قيدنا أنّه أراد المؤمن فمن أين له أن يموت مؤمناً؟ ولا يدخل النار بما وقع له من معصية صغيرة أو كبيرة.

وإنْ أراد: أنّ كلّ مؤمنٍ رآه ومات على الإيمان، لم يدخل النار مخلّداً، وأنه لابدَّ أن يدخل الجنّة في آخر الأمر دخولاً مؤبداً، فهذا مستفادٌ منَ الحديث النبوي.

[قال][1] ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»[2].

---

(١) سقط من المخطوط

(٢) أخرجه البزار في «المسند» (١٢/١) رقم (٧ ـ كشف الاستار) والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٨/٣) رقم (١٤٧٨).

قال في «المجمع» (١٧/١): «رواه البزّار ورجاله ثقات، إلا أن من روى عنهما البزار لم أقف لهما على ترجمة»! =

أي: استحقّ دخولها إن لم يقع ما يمنع وصولها، وهذا أمر عام يشمل منْ رآه ومنْ لم يره، بل ربما يعذب من رآه، ويغفر لمن لم يره إذا شاء الله.

وأمّا ما ادعى بعضُ من يزعم أن له مزية الفضل، مع أنه خالٍ عن معرفة الفرع والأصل، من أن هذا نظير قوله عليه السلام في حق أويس القرني:

«أنه يشفع لهذه الأمة أكثر من ربيعة ومضر»[٣].

= قلت: رواه البزار عن محمد بن اسماعيل بن سمرة، وثقه أبو حاتم والنسائي وغيرهما، وعن علي بن شعيب وثقه النسائي، فهما ثقتان.

ولكن فيه عطية العوفي:

إلا أن للحديث شواهد كثيرة، يصل بها إلى الصحة، كما قال الشيخ الألباني في «الصحيحة»: (٢٣٥٥).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤٦٩/٣ ـ ٤٧٠) و(٣٦٦/٥) والترمذي في «الجامع» (٤٦/٤) رقم (٢٤٤٠) والدارمي في «السنن» (٣٢٨/٢) وابن ماجة في «السنن»: (١٤٤٤/٢) رقم (٤٣١٦) والبخاري في «التاريخ الكبير»: (٢٧/٢) وابن حبان في «الصحيح»: (ص٦٤٦ ـ موارد) والطيالسي في «المسند» (٢٢٩/٢ ـ :مع المنحة) والحاكم في «المستدرك» (٧٠/١).

والحديث صحيح، وله شواهد عدة. =

فيقال له: لا تقيس الحدّادين بالملوك، ولا طائفة الأغنياء بالفقير الصعلوك، فإن كلامه عليه السلام صدقٌ، وإخباره حق. وأما غيره فلا يدري ماذا يكسب غداً، لا في الدُّنيا ولا في الآخرة أبداً.

فإن قُلت:

لعله انكشف له هذا الأمر، بأن تكون له الشفاعة في هذا القدر!

قلتُ:

لا اعتبار لمكاشفات الأولياء[1]، ومحاضرات الأصفياء، بحيث يعتمد عليها بالكليّة في الأمور الشرعية، أو في الأطوار الحقيقية، فإنّ الإنسان ما دام في هذه الدار المشوبة بالأكدار، لا تصفى له الأسرار، ولا تتجلى له الأنوار، بخلاف الأنبياء الأبرار والرسل الكبار، ولذا قال تعالى:

= راجع: «مجمع الزوائد» (١٠/٣٨١، ٣٨٢) و«زهد الثمانية من التابعين» لعلقمة بن مرثد: (ص٧٤).

(١) انظر في هدمه «القائد لتصحيح العقائد» للمعلمي اليماني (ص٣٧ وما بعدها) طبع المكتب الإسلامي/ بيروت و «مجموع الفتاوى» (٥/٤٩١) و«الجواب الصحيح»: (٢/٩٢)، و«تفسير القرطبي» (١١/٤٠) و(٧/٣٩).

﴿لقد كنتَ في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[1].

نعم، ما يتعلق بالعقائد الدينية وفق الكتاب والسنة النبوية إذا كان صاحبها في المرتبة العلية، يصلح أن يقال له: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

ولذا قال إمامنا الأعظم، وهمامنا الأقدم:

عرفناك حق معرفتك، وما عبدناك حق عبادتك.

كما قاله في «الفقه الأكبر»[2] فتأمل وتدبر.

(١) سورة ق: آية رقم (٢٢).

(٢) في «الفقه الأكبر» (ص١٦٩ ـ مع شرح المصنف):

«نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه في كتابه بجميع صفاته، وليس يقدر أحد أن يعبد الله حق عبادته، كما هو أهل له، ولكنه يعبده بأمره، كما أمر بكتابه وسنة نبيه»

وفي صحة نسبة الكتاب للإمام أبي حنيفة رحمه الله وقفة، لانه متضمن مسائل لم يكن الخوض فيها معروفاً في عصره ولا العصر الذي سبقه، على أن عددا غير قليل من مسائله يؤيدها ما تناثر في كتب الفقه والتراجم من نُقول ٍ عن الإمام. وقد نسب الكتاب الامام الذهبي في «العلو» إلى أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وهو من كبار أصحاب أبي حنيفة وفقهائهم، من هامش «أقاويل الثقات» (ص٦٣)..

وقد ذكر فيه:

«ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر، ورسول الله ﷺ مات على الإيمان»[(١)].

أما المسألة المتقدمة، فقد كتبت فيها رسالة مستقلة[(٢)].

وأما الأخيرة فتحيرت عند شرحي عليه، حتى شرح الله صدري ببعض ما قصد إليه، وهو: أنه ﷺ من حيث كونه نبياً من الأنبياء وهم كلهم معصومون عن الكفر في الابتداء والإنتهاء، نعتقد أنه مات على الإيمان. وأمّا غيره مِنَ الأولياء والعلماء والأصفياء فلا نجزم بموتهم بالإيمان، وانْ ظهر منهم خوارق العادات، وكمال الحالات، وجمال أنواع الطاعات، فإن مبنى أمره على العيان، وهو مستور عن أفراد الإنسان، ولهذا كانت العشرةُ المبشرة وأمثالهم خائفين من انقلاب أحوالهم، وسوء آمالهم في مآلهم.

---

(١) لا توجد هذه المقولة في طبعة مصر، سنة ١٣٢٣هـ، ومصورة دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٤هـ، وهي في طبعة دهلي، سنة ١٣١٤هـ، (ص١٣٠).

(٢) واسمها: «أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول ﷺ» طبعت في المطبعة السلفية، بمكة المكرمة سنة (١٣٥٣هـ) وانظر: «الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث»: (ص١٠٦ - ١١١) ففيه بسط في رأي المصنف في والدي رسول الله ﷺ.

ثم اعلم أنّ للسّلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال مرضيّة:

أحدها: أن لا يشهد لأحدٍ إلا للأنبياء.

وهذا ينقل عن محمد ابن الحنفية، واختاره إمامنا [إمام][1] الحنفية، لأنّه القضية القطعية.

وثانيها: أن يشهد لكل مؤمن جاء نصٌّ في حقه.
وهذا قول كثير من العلماء، لكنه ظنيٌّ في أصله.

وثالثها: أن يشهد أيضاً لمن شهد له المؤمنون، كما في «الصحيحين»:

أنه مرّ بجنازةٍ، فأثنوا عليها بخير، فقال النبي ﷺ: وجبت. ومرّ بأخرى فأثنوا عليها بشر، فقال: وجبت.

فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله! ما وجبت؟

فقال عليه الصّلاة والسّلامُ: هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض[2].

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٣٦٧) و(٢٦٤٢) ومسلم في «الصحيح» رقم (٩٤٩) والنسائي في «المجتبى» =

وهذا مبنيٌّ على أنا نحكم بالظَّواهر، وأن الله يعلم ما في السرائر، وفيه تنبيهٌ على أن هذه الأمة لا تجتمع على الضلالة، وليس لأحدٍ أن يشهد لأحدٍ من أرباب هذه الملّة بعدم دخول النّار، أو وصول الجنة، وإنّما يجوز له أن يشهد بالثناء عليه إنْ رأى فيه خيراً بموجب حسن الظن والرّعاية، أو بسبب ظهور العلم والعمل والصّلاح والدّيانة، وكذا له أن يشهد بالشرّ لأحدٍ إذا رأى فيه ما يدل على نفاقه أو شاهد فيه بعض الكبائر من شقائه، نحو أكل مال الحرام، وأخذ مال الوقف من غير مراعاة ما يجب عليه منْ حقّ القيام.

ومن قبيل هذه الدّعوى، التي ليس تحتها المعنى:

ما ذكره بعضُ الجهلة: أنّ شخصاً من أرباب الكشف[1] كان يبكي لما ظهر له أن أحداً من أهله في

= (٤/٤٩، ٥٠) والترمذي في «الجامع» رقم (١٠٥٨) وابن ماجه في «السنن» رقم (١٤٩١) وأحمد في «المسند» (٣/١٧٩، ١٨٦، ١٩٧، ٢١١، ٢٤٥، ٢٩١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/٧٥) و(١٠/٢٠٩) والطيالسي في «المسند» رقم (٧٩٧) والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٥٠٧) و(١٥٠٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٩١) وأبو يعلى في «المسند» (٦/٩٤، ٩٥).

(١) الشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الاستناد إليه في الدين وقدمنا في هامش صفحة (١٦) مصادر هدمه، فراجعها، فإنها نفيسة للغاية.

العذاب، وأنه اجتمع بابن عربي في هذا الباب، فتشطح له: أنه لم يرني، ولم يكن في بغداد.

وأمثال ذلك مما هو ظاهر الفساد.

فإنْ قلتَ:

لعل القائل رأى في المنام جمال النبيّ عليه الصلاة والسلام، وأشار إليه بهذا المقام.

قلتُ:

هذا لا يجوز، لمخالفته قواعد الإيمان وأحكام الإسلام. ولا يقال: ورد أن: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي»[1].

فإن في تحقيقه كلاماً كثيراً، ذكرنا في «شرح الشمائل»[2] ما ظفرنا بنقله عن أرباب الفضائل.

ومجمل الكلام في مرام هذا المقام: ما ذكره الإمام حجة الإسلام:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٨٣/١٢) رقم (٦٩٩٣) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٦٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المسمى «جمع الوسائل في شرح الشمائل»: (٢٣٠/٢ وما بعدها).

إنه ليس المراد بقوله (فقد رآني) رؤية الجسم، بل رؤية المثال الذي صار آلة ينادي بها المعنى الذي في نفس الأمر، والآلة إما حقيقية وإما خيالية، والنّفس غير المثال المتخيل، فالشكل المرئي ليس روحه ﷺ ولا شخصه، بل مثاله على التحقيق، والله وليّ التوفيق.

وحاصله: أنّه لا اعتماد على رؤية المنام في غير حق الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام. مع أنّ الرؤى قد تحتاج إلى تعبير يناسب الرائي أو غيره في ذلك المقام، فلو فرض أنّ أحداً رأى النبي عليه الصلاة والسلام وأمره بفعل شيء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام، فليس له القيام بذلك الأمر باجماع علماء الأنام. ومن هنا قال صاحب «المواقف»[1]:

أما الرؤيا فخيال باطل، ليس تحته طائل عند المتكلمين. أما عند المعتزلة فلفقد شرائط الإدراك، وأما عند الأصحاب إذ لم يشترطوا شيئاً من ذلك، فلأنه خلافُ العادةِ، فلا ينبني عليه ما يتعلق بأمر العبادة، ولا بالحكم على أحدٍ بالشقاوة والسّعادة، رزقنا الله الحسنى والزيادة.

---

(١) ونقله المصنف في «شرح الشمائل»: (٢/٢٣٠).

وممّا يؤيد ما ذكرناه في هذا المقام:

أن المشايخ الكرام، والعلماء الأعلام كانوا أخوف لله منْ سائر الأنام، كما يشير إليه قوله تعالى:

﴿إنّما يخشى الله من عباده العُلماء﴾[1].

ويدلّ عليه قولُهُ عليه الصلاة والسلام:

«أنا أخشاكم لله»[2].

ومن هنا ذكر عند الحسن البصري رحمه الله ـ وهو سيّد التابعين ـ أن آخر من يخرج من النّار رجلٌ يقال له: هناد، بعدما يعذّب ألف عام، ينادي: يا حنّان يا منان[3].

فبكى الحسن وقال: يا ليتني كنتُ هناداً.

فتعجبوا منهُ، فقال: ويحكم! أليس يوماً يخرج في الجملة، ولا يخلد فيها.

---

(١) سورة فاطر: آية رقم (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠٤/٩) رقم (٥٠٦٣) ومسلم في «الصحيح» (١٠٢٠/٢) رقم (١٤٠١).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٠/٣) وابن خزيمة في =

قال حجة [الإسلام]:

ولقد بلغني عن يوسف بن أسباط أنه قال:

دخلت على سفيان الثوري فبكى ليله أجمع، فقلتُ: بكاؤك هذا على الذنوب؟ قال: فحمل تِبْناً من الأرض. وقال: الذنوب أهون على الله من هذا، وإنما أخشى أن يسلبني الله الإسلام[1]. انتهى.

وروي أن سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي - قدس اللهُ سرّة السّامي - أخذ مرآةً ونظر فيها، فقال:

ظهر الشيب، ولم يذهب العيب، وما أدري ما في الغيب.

= «التوحيد» (ص٢٠٥، ٢٠٦) والبغوي في «شرح السنة»: (١٩٣/١٥، ١٩٤) رقم (٤٣٦١) والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (٥٣) وأبو يعلى في «المسند» (٢١٤/٧) وابن حبان في «المجروحين» (٨٥/٣) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٦٧/٣).

واسناده واهٍ جداً، كما فصلته في تخريجي لأحاديث «التخويف من النار» لابن رجب رقم (٧٧٥).

(١) وذكرها أبو محمد عبد الحق الإشبيلي في كتابه «العاقبة في ذكر الموت والآخرة» (ص١٧٥).

إيماءً إلى قوله تعالى:

﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾[1].

وإشارة إلى قوله عليه التحيّةُ والتسليم:
«إنما الأعمال بالخواتيم»[2].

وامتحنه واحد[3] من الفقراء، فقال له: لحيتك أفضل أم ذنب الكلب؟

فبكى، وقال: إن متُ على الإسلام فلحيتي خير، وإلا فذنب الكلب.

وكأنه تأمل قوله تعالى:

﴿واتْلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فَمَثَلُهُ كَمَثَلَ الكلب﴾[4].

---

(١) سورة لقمان: آية رقم (٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١١/٣٣٠) رقم (٦٤٩٣).

(٣) في المخطوط: «أحد».

(٤) سورة الأعراف آية رقم (١٧٥).

ونظر في قصة أصحاب الكهف:

﴿وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد﴾[1].

فقد ورد[2] أن بلعام يتصوّر بصورة ذلك الكلب، فيدخل النار، والكلب يتصور بصورة بلعام فيدخل الجنة.

وقد كان بلعام بن باعوراء بحيث إذا نظر يرى العرش، وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين، الذين يكتبون عنه العلم، ولم تكن له إلا زلّة واحدة، مال إلى الدنيا وأهلها وهلةً، وترك لولي من أوليائه حرمة، فسلب عنه المعرفة واستحق العقوبة، المعجلة والمؤجلة.

وقد حكي أن تلميذاً لفضيل بن عياض حضرته الوفاة، فدخل عليه الفضيل، وجلس عند رأسه، وقرأ سورة «يسۤ»، فقال: يا أستاذي: لا تقرأ هذه.

فسكت، ثم لقّنهُ فقال: قل لا إله إلا الله.

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١٨).

(٢) في الاسرائيليات، التي لم نؤمر بتصديقها ولا تكذيبها! وفي قول المصنف: «إذا نظر يرى العرش»، نفَسُ الصوفية والكشف الذي سبق وأن هدمه فتنبه لذاك، تولى الله هُدانا وإياك.

فقال: لا أقولها لأني بريء منها، ومات على ذلك.

فدخل الفضيل منزله، وجعل يبكي أربعين يوماً لم يخرج من البيت، ثم رآه في النوم، وهو يسحب به إلى جهنم، فقال له: بأي شيء نزع الله المعرفة عنك، وكنت أعلم تلاميذي؟

قال: بثلاثة أشياء.

أولها: النميمة، والثاني: الحسد، والثالث كان لي علة.

فجئت إلى طبيب فسألته عنها، فقال: تشرب في كل سنة قدحاً من خمر، فإن لم تفعل تبقى بك العلة، فكنت أشربُها[1].

نعوذ بالله من سخطه، الذي لا طاقة لنا به.

وكان سفيان الثوري يقول: ما أمِنَ أحدٌ على دينه إلا سلب.

وقال بعضهم:

---

(١) وانظر قصصاً نحوها في «العاقبة في ذكر الموت والآخرة» (ص١٧١ وما بعدها) و«التذكرة في أحوال الموتى وامور الآخرة» (ص٥٣ وما بعدها).

إذا سمعت بحال الكفّار وخلودهم في النّار، فلا تأمن على نفسك في تلك الحالة، فإن الأمر على الخطر، ولا يدرى ماذا يكون من العاقبة، وما الذي سبق لك في السابقة، ولا تغترّ بصفاء الأوقات، فإن تحتها غوامض الآفات.

وقال بعضهم:

يا معشر المغترين بالعِصَم، إنّ تحتها أنواع النِّقم، زين الله إبليس بدقائق نعمته، وهو عنده في حقائق لعنته، وزيّن بلعام بن باعوراء بأنوار ولايته، وهو عنده في أطوار عداوته.

وكان ابراهيم [بن][1] أدهم يقول:

كيف نأمن وابراهيم الخليل عليه السلام يقول: ﴿واجْنُبْنِي وبَنِيَّ أن نعبدَ الأصنام﴾[2].

ويوسف الصِّديق عليه السلام يقول:

﴿توفّني مسلماً وألحقني بالصّالحين﴾[3].

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٢) سورة ابراهيم: آية رقم (٣٥).

(٣) سورة يوسف: آية رقم (١٠١).

والحاصل أن الأمر مبهم، والخطر معظم، فلا يدري أحد غير الأنبياء أنه منْ أيّ الفريقين، في قوله تعالى:

﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾[1].

وفي قوله سبحانه:

﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾[2].

وفي قوله عزّ وجل:

﴿يوم تبيضّ وجوهٌ وتسودّ وجوهٌ فأما الذين اسْودّت وجُوهُهم أكفرتُم بعدَ إيمانكم فذُوقوا العذاب بما كُنتم تكفرون وأمّا الذين ابيَضّتْ وجُوهُهم ففي رحمة اللهِ هم فيها خالدون﴾[3].

ومن هنا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان بين خوف العقاب، ورجاء الثواب:

لو قيل لي يوم القيامة: لن يدخل الجنة إلا واحد[4] أرجو أن أكون أنا، وإن قيل: لن يدخل النار إلا واحد[5]، أخاف أن أكون أنا.

---

(١) سورة الشورى: آية رقم (٧).

(٢) سورة التغابن: آية رقم (٢).

(٣) سورة آل عمران: آية رقم (١٠٦، ١٠٧).

(٤) و(٥) في المخطوط: «أحد»!

وتحقيق هذا المقام يستدعي الإطناب في الكلام، فلنعرض عن هذا المرام.

فإن قلت:

الأولياء يسلَّمُ لهم في أحوالهم، ولا يعترض في أقوالهم!

قلتُ:

لا نسلّم ذلك، فقد اعترض شيخ الإسلام، وقطب الأنام، نديم[1] الباري، مولانا عبد الله الأنصاري على ما حكي عن أبي يزيد البسطامي، أنه قال:

ذهبت من الفرش، وضربت خيمة مقابل العرش.

فقال: لعله كذب عليه، فانَّ هذا الكلام في الشريعة كفر، وفي الحقيقة بُعدٌ وهُجر.

ولقد ذكر القاضي عياض في كتاب «الشِّفاء»[2] أن فقهاء بغداد أيام المقتدر أجمعوا على قتل الحلاّج، وصلبه

(١) في إضافة هذه اللفظة إلى المولى عزوجل نظر، ولا سيما إذا علمت معنى «النديم» في اللغة، راجع مادة «ندم» في «معجم مقاييس اللغة»: (٤١١/٥).

(٢) (٣٥٨/٢ ـ مع شرح المصنف) المطبوع بالمطبعة العثمانية، سنة ١٣١٩هـ.

لدعواه الإلهية، والقول بالحلول، وقوله: أنا الحقّ، مع تمسكه في الظاهر بالشريعة، ولم يقبلوا توبته.

وقد اعترض الشيخ علاء الدولة السمناني على ابن عربي في قوله أوائل «الفتوحات» :

سبحان من أوجد الأشياء وهو عينها!! وكفّره بهذه المقالة وأمثالها، وقد أوضحت هذه المسألة في رسالة مستقلة[1].

وقد صرّح ابن المقرّي[2] في «الإرشاد»[3]:
أن منْ شك في أن طائفة ابن العربي شرّ من اليهود والنصارى فقد كفر[4].

---

(١) واسمه «ردّ الفصوص» كما في «نشر النور والزّهر». (٣٢٠/٢) و«كشف الظنون» (١٢٦٤/٢) و«هدية العارفين» (٧٥٢/٢).

(٢) هو اسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله بن علي بن عطية الشغدري، توفي سنة (٨٣٧هـ) بزبيد في اليمن.

انظر في ترجمته: (البدر الطالع) (١٤٢/١) و«الضوء اللامع» (٢٩٢/٢).

(٣) انظر في تعريفه: «كشف الظنون»: (٦٩/١).

(٤) ونقلها المصنف في كتابه «شم العوارض في ذم الروافض»: (لوحة ٢٤٩/أ) مخطوط ضمن مجموع.

وقد صدق في ذلك، لأنه سبب الضلالة، وباعث الجهالة، فيما بين المسلمين، لا سيما وقد اشتهروا بأنهم من المتصوّفين، والعامّة لم يفرقوا بين توحيد الملحد، وتوحيد الموحد، فعليك بما قاله الجنيد سيد الطائفة، وشيخ الطريقة:

إن طريقنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه، فلا يقتدى به[1].

وقد ورد عن الإمام مالك نظير ذلك، حيث قال: منْ تصَوّف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقّه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق .

رزقنا الله حسن العقيدة، والتوبة الصحيحة الوثيقة، والتوفيق [إلى] العلم النافع[1]، والعمل الصالح،

---

(١) انظر نحوها في «حلية الأولياء» (٢٥٧/١٠) و«تلبيس إبليس» (١٠، ١١) و«رسالة القشيري» (١٠٦/١) و«الاعتصام» (٩٥/١) و«مفتاح الجنة» (ص٢٦٣) للسيوطي.

(٢) ونسبها المصنف للإمام مالك في «شرح الشفاء»: (٥١٣/٢) وفي نسبتها له شك، فلتحرر.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

المقرونين بالإخلاص الرافع، وحسن الخاتمة في آخر النفس الواقع، بأن قرن العلم اليقين، والعين اليقين، وقر عينينا بكشف مقام حق اليقين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) انتهيت من التعليق عليها حامداً الله تعالى ومصليا ومسلماً على رسول الله ﷺ بعد عصر يوم الأحد ١٨/شعبان/ ١٤٠٩هـ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات الكريمة
فهرس الأحاديث الشريفة
فهرس الموضوعات

فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه ...	١٢
أنا أخشاكم لله	٢٣
إن آخر من يخرج من النار رجل يقال له ...	٢٣
إنما الأعمال بالخواتيم	٢٥
إنه يشفع لهذه الأمة أكثر من ربيعة ومضر	١٥
من رآني في المنام، فقد رآني ...	٢١
من قال لا إله إلا الله دخل الجنة	١٤
هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ..	١٩

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة